ندوة تأبين المجاهد أحمد الشقيري
مكتب منظمة التحرير الفلسطينية / الكويت
1980/4/19

كلمة منظمة التحرير الفلسطينية

غسان الريس*

باسم منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا العربي الفلسطيني.. شعبنا المناضل المكافح من أجل تحرير أرضه وتطهير ترابه.. نلتقي اليوم لنؤبن أحد رجالنا .. أحد مناضلينا.. أحد قادتنا...

فاليوم يكون قد مضى نحو أربعين يوماً على وفاة الراحل الكبير، فقيدنا الأستاذ أحمد الشقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وإننا إذ نؤبن هذا الرجل.. فإننا نستذكر جزءاً بارزاً من تاريخ أمتنا العربية، ونضالات شعبنا الفلسطيني.

فاليوم مثلاً يصادف ذكرى مرور اثنين وثلاثين عاماً على مجزرة دير ياسين، تلك المجزرة التي اقترفها الصهاينة بزعامة مناحيم بيغن رئيس وزرائهم الحالي بحق إحدى قرانا الفلسطينية الآمنة، التي راح ضحيتها نحو مئتين وخمسين شهيداً من رجالنا ونسائنا وأطفالنا.. واليوم الذي ارتحل فيه فقيدنا كان 26 شباط/فبراير الماضي، كأنه أراد ألا يرى ذلك اليوم المشؤوم الذي لطخ فيه جبين العروبة والمسلمين؛ حيث ارتفع علم صهيون في قلب القاهرة، وليعلن عن قيام ما يسمى بتبادل لتمثيل دبلوماسي بين القاهرة وتل أبيب (وبزعامة السادات – بيغن).

أيتها الأخوات.. أيها الإخوة،

إن فقيدنا يأبى في تأبينه، بل وفي يوم رحيله، إلا أن يذكرنا بأرضنا التي اغتصبت، وبحرماتنا التي انتهكت..

وكأني أراه مشيراً بأصبعه إلى كل جزء من أرضنا المحتلة، مردداً بأعلى صوته: هذه فلسطين، وهي أمانة في أعناقكم.. لا تنسوا ذلك، بل اعملوا من أجل إعادتها ونصرتها...

أيها الإخوة،

إنني إذا كنت قد أشرت إلى هاتين المناسبتين على سبيل الذكرى اللاحقة لوفاة فقيدنا، فإنني أجد لزاماً علي أن أوضح منذ البداية أنني مهما تحدثت عن الفقيد الراحل، ودوره ومنجزاته فلسطينياً كانت أم عربياً أم حتى دولياً فإنني

---

* مسؤول الإعلام في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت.

أعجز أن أعطي هذا الرجل حقه، ولكني سأحاول أن أتحدث عن جزء من حياته، وأترك الباقي للإخوة الذين سيتحدثون من بعدي.

ففي مؤتمر القمة العربي الأول للملوك والرؤساء العرب المنعقد في القاهرة في 1964/1/13، كان موضوع البحث محاولة الحيلولة دون تمكين الصهاينة في فلسطين من تحويل مجرى نهر الأردن إلى داخل الأرض المحتلة حينئذ، وكانت وجهة النظر العربية الرسمية في ذلك المؤتمر هي العمل على تحويل المياه العربية إلى داخل الأراضي العربية، وعدم تمكين الصهاينة منها، بينما كانت وجهة نظر الفلسطينيين ألا يقام أي مشروع عربي بديل للمياه، ويكتفى بإتاحة الفرصة للفلسطينيين للعمل على تخريب المشاريع الصهيونية فهذا أقل كلفة.. ولا أريد أن أضيف أكثر..

وقد كلف هذا المؤتمر أستاذنا الشقيري بصفته ممثلاً لفلسطين لدى جامعة الدول العربية في ذلك الوقت بالعمل على تنظيم شعب فلسطين.. فكان المجلس الوطني الفلسطيني الأول، الذي عقد في القدس في النصف الثاني من مايو/أيار 1964، ومن ثم اختير الأستاذ الشقيري لرئاسة منظمة التحرير الفلسطينية بمجلسها الوطني ولجنتها التنفيذية.. وبقي كذلك حتى24كانون الأول عام 1967.

وإنني أستطيع القول إن الشخصية الفلسطينية التي طُمست بطريق أو بأخرى منذ النكبة عام 1948، وعلى امتداد ستة عشر عاماً قد برزت في تلك الفترة مرة أخرى، وعاد علم فلسطين ليرتفع من جديد فوق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية، وفتحت معسكرات لتدريب الفلسطينيين.

وشهدت تلك الفترة تأسيس جيش التحرير الفلسطيني بقواته الثلاث: عين جالوت، وحطين، والقادسية.

وفي بداية آذار/ مارس 1965 كانت إذاعة صوت فلسطين صوت منظمة التحرير الفلسطينية؛ حيث انطلقت من القاهرة ولأول مرة بكوادر فلسطينية وطاقات فلسطينية.. لتخاطب شعبنا الفلسطيني ليس داخل أرضه المحتلة فحسب، بل وفي مختلف أماكن تجمعه، لتطلعه على حقيقة قضاياه، وتنبهه إلى ما يحاك ضده.. ليتقيه. وكذلك كان مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، الذي أثرى المكتبة العربية بكتبه وأبحاثه، بدراساته ويومياته، ببياناته وإحصاءاته. وقد كانت لفقيدنا الراحل صولات وجولات في مختلف المجالات، سواء داخل فلسطين أو جامعة الدول العربية والوطن العربي، أو على منبر الأمم المتحدة والمحافل الدولية. فكان صوتاً للحق العربي.. مدافعاً عن قضايا العروبة، منتصراً للشعوب المناضلة من أجل حريتها.

وإننا اليوم لنجدد العهد للفقيد الراحل، ولكل شهدائنا الأبرار، الذين عمدوا نضالات شعبنا بدمائهم الطاهرة الزكية.. أن نواصل مسيرة الكفاح المسلح من أجل تحرير كل الثرى المغتصب من أرضنا.

وإنها لثورة حتى النصر

الشقيري في التاريخ الفلسطيني الحديث

د. علي سعود عطية*

أيها الإخوة،

ليس أصعب على المؤرخ وكاتب التاريخ من أن يتحدث عن شخصية غنية في كلمات قليلة ... إن البحث والاستقصاء والمماحكة العقلية للأشياء تحتاج إلى صفحات طويلة، ولذا أستميحكم عذراً على تجربتي التاريخية المتواضعة لهذه الشخصية العظيمة، شخصية الفقيد أحمد الشقيري. أيها الإخوة سأركز في حديثي على ثلاثة أمور رئيسة ذات ارتباط وثيق بدور الشقيري في تاريخ فلسطين الحديث، أولاً: الشخصية، ثانياً: الإنجازات، ثالثاً: الشقيري والتاريخ.

1- الشخصية: مفتاح شخصية الشقيري – كما أن لكل شخصية مفتاحاً نفسرها به- هو أنه كان محامياً؛ بكل ما في هذه الكلمة من معنى الدفاع عن الحق والانتصار له، ومحاربة الباطل وملاحقته حتى الإجهاز عليه. لم يكن الشقيري محامياً بالمعنى المهني القانوني أو الشرعي فقط، ولكنه كان محامياً – ولعل هذا هو الأهم – بالمعنى الوطني والإنساني. وقد قام بذلك على مستوى الأفراد والجماعات والأوطان. دافع الشقيري عن أبطال فلسطين المجاهدين – منذ كان دارساً للحقوق – في انتفاضة البراق (1929)، وبالذات فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم، قبل أن تعلقهم السلطات البريطانية على المشانق، وتبكيهم فلسطين من أقصاها إلى أقصاها... ودافع أيضاً عن رفاق الشهيد عز الدين القسام – كما سنرى – بعد انتفاضته العظيمة في عام 1935، وبعد قضية اغتيال أندروز في عام 1937. ودافع عن القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة وغيرها من المنابر العالمية، وشمل دفاعه كل قضية عربية مظلومة، مثل قضية: الجزائر، وتونس، والمغرب، وليبيا، وتجاوز ذلك إلى الدفاع عن كل قضية مظلومة في العالم. وكان الشقيري نصيراً للمظلومين والمستضعفين في الأرض أمام شرور الإمبريالية والصهيونية، ولقد امتد به الزمن محامياً مناضلاً عن القضايا المظلومة، وطوّف في ذلك أركان الأرض، وشرّق وغرّب، وسار- كما يقول هو- "طريقاً من الحياة السياسية العامة، امتدت أربعين عاماً بدأتها في بيت المقدس، معقل الحركة الوطنية، إذ ذاك، وتنقلت بعدها في عواصم الدنيا، في: واشنطن، ونيويورك، وباريس، وموسكو، وجنيف، ولندن، وطوكيو، ونيودلهي، وكراتشي، وبكين، وباندونج، فضلاً عن العواصم العربية. "وقد رحت أنتقل بينها كأني أنتقل من حيّ إلى حيّ في المدينة الواحدة".

لقد ترسخ في وجدان الشقيري- من خلال قضية فلسطين المظلومة ظلماً فظيعاً مريعاً- مبدأ الدفاع عن كل قضية مشابهة، وهو يقول: "واكبت حركات التحرر في العالم، ورحت أبحث عن كل قضية حيثما وجدتها دفاعاً عن أوطان الشعوب، وثأراً لوطني المغلوب".

---

* كاتب سياسي ، وأستاذ التاريخ في جامعة الكويت.

كان الشقيري نشيطًا دؤوباً، أكثر من ذلك فقد كان ملتهباً متأججاً متفجراً، حيوياً متحفزاً، يمتلئ بأخلاق الفروسية والنجدة والشهامة، مثله في ذلك مثل المؤمن الذي ورد في الحديث النبوي الشريف: "مثل المؤمن كرجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة – صيحة – طار إليها". وكان استنفاره وتحفزه أشد ما يكونان عليه عندما يتعلق الأمر بفلسطين من قريب أو بعيد!

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

لقد كانت فلسطين قدس أقداسه، الوتر الحساس في قيثارته، الذي ما أن تمسه حتى تنقدح في ذهنه شرارة الإلهام، وتجود القريحة ويكون البيان.

ولقد رزق الأستاذ الشقيري كل الصفات التي تؤهله للخطابة: جرأة كجرأة الأسد الهصور، وصوت جهوري. أتقن اللغة العربية لغة القرآن، سليقة ودراسة، كما أتقن الإنجليزية وتحدث بها بمقدرة كبيرة، وخطب باللغتين. كان في اللغة كأنه صناجها. ومن سمعه يخطب باللغة الإنجليزية شهد أن كلماته مستمدة من قاموس شكسبير. لقد كان الشقيري خطيباً بليغاً، رجل منابر من طراز ممتاز، وأبلغ من ذلك أنه أحب فلسطين ببلاغة!

2– الإنجازات: كان الشقيري رحمه الله كأنه قنبلة متفجرة متواصلة الانفجار، فلم يعرف عنه– كما هو الجندي الساهر– أنه ألقى السلاح يوماً، بل ظل حاملاً بندقيته، ساهراً على قضيته إلى آخر نفس من حياته.. لن نستطيع هنا أن نحصي إنجازات الشقيري، ولذا فإننا سنكتفي بالرموز الأساسية لها.

كان الشقيري هو الذي أدان التقليد في السياسة والازدواجية في الموقف نحو الاستعمار البريطاني والصهيونية. وكتب مقاله الشهير في جريدة مرآة الشرق عام 1928، بعنوان:" أيها الشاب تقدم واطرد أباك من الميدان!". وإذا كان هذا العنوان صارخاً .. فإنه كان رداً على موقف صارخ في مهادنة بعض القيادات أو الزعامات للإنجليز مع تركيزهم على مقاومة الصهيونية. وإن كان في هذا المقال من دلالة، ودلالة عميقة، فهي أن الشقيري كان طليعياً في منطلقاته، واعياً لأبعاد الموقف السياسي، جريئاً في طرحه.. لا يبالي في قوله الحق لومة لائم!

كان الشقيري من أوائل من نبه إلى أولويات المقاومة الوطنية في فلسطين، عندما ضم جهوده إلى جهود حزب الاستقلال، حزب القومية العربية في فلسطين، وأكثرها راديكالية وأصالة فكرية، ذلك الحزب الذي كان أول حزب يطرح شعار الوحدة العربية على شكل اندماج كامل لدرجة توحيد لباس الرأس والعملة .. بل كل شيء. ولقد تبنى الشقيري بقوة شعار "الإنجليز أساس الداء ورأس البلاء"... واعتبر الإنجليز العدو الأول.. وعندما وقف خطيباً عام 1934 في نابلس، وسئل أيهما نقاوم الإنجليز أم اليهود الصهاينة؟، قال عفوياً وببديهة حاضرة:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا!

ومن موقفه الطليعي ووعيه العميق، واستمراراً في السير على مبادئ حزب الاستقلال، كان الشقيري من أبرز من نبه إلى ضرورة مقاطعة الإنجليز.. وخطب في مؤتمر يافا 1933 داعياً الزعماء إلى أن يضربوا المثل بأنفسهم فيهجروا المناصب الحكومية.. ويشنوا مقاطعة عامة على السلطات الإنجليزية.

ولعل هذا كان سر ترحيب الشقيري بحركة عز الدين القسام بصوفيته الوطنية، وإعلانه الثورة على بريطانيا بكوكبة مع أصحابه البررة رؤوس الجبال من أجل ذلك. وعندما استشهد ذلك البطل الفدائي العظيم كان الشقيري من أبرز من دافع عن صحبته الأحياء، ممن انصب عليهم غضب القمع الإنجليزي!

وعندما هبت الثورة الكبرى في تاريخ العرب الحديث ثورة 1936، "وإذا قست الأشياء بالأشياء والظروف بالظروف"صب الشقيري جهوده بصورة صميمية فيها، وانضم إلى الشباب من اللجان القومية، أولئك الشباب الذين كانوا مفخرة الصمود والثبات على المبادئ والرغبة عن المهادنة والمصالحة. ومن هنا فقد رافق مراحل الثورة داعياً ومناضلاً ومنظماً: إضراباً وعصياناً مدنياً، وحرب عصابات، حتى اعتقلته السلطات البريطانية، ونفته إلى سمخ في شمال شرق فلسطين، بحيث كان يثبت وجوده لدى السلطات إحدى عشرة مرة في اليوم الواحد!

أيها الإخوة،

هذا غيض من فيض.. من نشاط الشقيري، ودوره الوطني، إلا أن الإنجاز الأعظم للشقيري هو تأسيس الكيان الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية. لا يتسع المجال هنا لإبراز دور الشقيري في هذا العمل العظيم، والذي نستطيع أن ننسب إليه الفضل الأكبر فيه، قبل أي إنسان أو دولة عربية مهما كان أو كانت!

فالدول العربية قبل قيام الكيان لم تكن متفقة على شكله ولا اختصاصاته.. البعض أراده منبراً إعلامياً، والبعض الآخر أراده حكومة.. والبعض الثالث – ومن قبيل المزايدة – أراد له أن يكون كياناً كاملاً متكاملاً أرضاً وسلطة وسكاناً! والبعض قنع بإنشاء جبهة تحرير وطنية كجبهة التحرير الجزائرية.. وأثناء مؤتمر القمة الأول (يناير 1964) لم يوضع موضوع الكيان إلا في آخر أجندة الملوك والرؤساء. وعندما استصدر قرار بتكليف الشقيري ببدء مرحلة الاستشارات مع الشعب الفلسطيني والحكومات، وأن "يستمر أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالأعضاء والشعب الفلسطيني، بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره". أقول عندما بدأ الشقيري مرحلة الاستشارات لم يزد الأمر عن التكليف بهذه الاتصالات.. ولم يكن تكليفاً بإنشاء كيان فلسطيني، وإقامة منظمة فلسطينية. يقول المرحوم الشقيري: "قرار الملوك والرؤساء لم يخولني إنشاء الكيان الفلسطيني أصلاً، وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس، ومن ثم تقديم تقرير إلى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في شهر آب 1964"، حتى يقول: "وأنا أعلم أن مصير هذا التقرير هو إحالة الموضوع إلى الحكومات العربية مرة أخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنين مضت.. ولهذا عزمت

أن أضع الحكومات العربية أمام الأمر الواقع، فأدعو إلى مجلس وطني ينظر في الميثاق والنظام الأساسي، ويعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، ويشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم منظمة تحرير فلسطين، لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية".

وهكذا استطاع الشقيري، وخلال فترة قليلة لا تزيد عن شهرين، (من 1964/2/19 إلى 1964/4/5)، استطاع بما بذل من جهد عظيم، وصبر طويل أن يعقد ثلاثين اجتماعاً مع الفلسطينيين في مختلف ساحاتهم في الوطن العربي، ومع الحكومات العربية، وحرص أكثر ما حرص على الاتصال بالجماهير الفلسطينية، جماهير المخيمات، وبعصب المقاومة الحساس من منظمات المقاومة الفلسطينية التي كانت في دور السرية، كما اتصل بالمثقفين المستقلين، وناقش الجميع في مسودة الكيان والمنظمة، حتى جاءت صورة عن طموحات وتطلعات الشعب الفلسطيني في الوحدة الوطنية والنضال والتحرير.. ولم يقبل الشقيري بالتنازل عن أي حق من الحقوق الفلسطينية، وضمن كل ذلك في الميثاق القومي الفلسطيني الذي هو الآن دستورنا في النضال، ولن نقبل بالتنازل عن نص من نصوصه بأي حال من الأحوال.

لقد كانت إقامة الكيان على يد ذلك السياسي البارع، وبجهوده المخلصة الأمينة الرائدة، بالرغم من المزايدة والمناقصة العربية، أكبر عملية اختراق في تاريخ الشقيري، ومع الثورة المسلحة أكبر عملية اختراق في تاريخ القضية الفلسطينية بأكمله بعد النكبة.

وسيراً على طريق الأصالة رفض الشقيري في مؤتمر الخرطوم عام 1967 الحل السياسي! ووضع البديل في لاءاته الثلاث المشهورة: لا صلح! ولا اعتراف! ولا مفاوضات!. وكان بذلك رمزاً للنضال الفلسطيني، وضميراً مخلصاً لكل فرد من أفراد الشعب الفلسطيني بخاصة والعرب بعامة. ولعل البعض لم يرد لهذا الضمير الحي والرمز المشرق أن يستمر في عطائه عندما اندحروا للقبول بالمشاريع الاستسلامية، مثل قرار 242، ومشروع روجرز وغيرها.. عندها لم يجد الشقيري بداً من أن يستقيل من قيادة الكيان الفلسطيني، وإن لم يكن قد استقال من النضال.

3- الشقيري في التاريخ الفلسطيني الحديث:

أيها الإخوة: بقيت نقطة أخيرة، ماذا سيبقى من هذا الراحل العظيم للتاريخ ؟! أغلب الظن أنه سيبقى للشقيري في التاريخ الفلسطيني والدولي النواحي التالية:

أ- الشقيري المثل والنموذج: الشخصية العظيمة التي تمتلئ حيوية ومثابرة وذكاء وثقة بالنفس ووطنية وأصالة. الطموح لفلسطين الكاملة والواحدة. لقد كان الشقيري من دعاة الشخصية الفلسطينية.. ولكن كان أيضاً مع عروبة الشخصية الفلسطينية. الشقيري كان صاحب فكر قومي أصيل.. لم يكن الشقيري يريد التقليل من دور العرب، إنما كان يريد أن يضع العرب أمام مسؤولياتهم. وهذا ما أثبته قيام الكيان من الناحية العملية.. كان الشقيري جيلاً بكامله ودورة سياسية كاملة.. وبين أبناء جيله كان طليعياً في تحطيم قيود

الماضي ورواسبه، وفي مجابهة الراهن وتحديه والتطلع إلى المستقبل الحر.. وإذا سلط المؤرخون جهودهم على المثل والنموذج، وجلوه حسن جلوه، فسوف يظهر الشقيري المثل والنموذج صافياً مشعاً ورائداً كبيراً من رواد الفهم السياسي.

ب- الكيان الفلسطيني العربي: الكيان الفلسطيني باق وهو حقيقة كبيرة، تملأ السمع والبصر، ويحقق كل يوم انتصاراً حديثاً، ويبشر بالخير الكثير: التحرير الكامل من النهر إلى البحر ولو بعد حين! والشقيري هو أبو الكيان، ليس الكيان الفلسطيني فقط وإنما الكيان الفلسطيني العربي، حقاً لقد كان الشقيري يريد تحرير فلسطين أولاً، ولكن من أجل أن تكون نواة الوحدة العربية الكبرى.

ت- كإنسان: يبقى الشقيري إنساناً عارم الإنسانية، وله معاناته الشخصية كإنسان ملهم، وقد يكون الشقيري - بعد طه حسين- أفضل عربي قدم سيرة ذاتية إنسانية عن الجانب الإنساني فيه، وكان ذلك في كتابه "أربعون عاماً في السياسة العربية والدولية"، وأنت إذا قرأت هذا الكتاب تحس فيه بنبض حي ومشاعر رقيقة مرهفة، ونَفَس تراجيدي، وتحالف مع البؤساء والمضطهدين في الأرض.. معاني ومشاعر تذكرك بشوامخ الأدب العالمي. الفرق بين طه حسين والشقيري، أن طه حسين كان أديباً.. لكن الشقيري كان رجل علم بالإضافة إلى الأدب، وكان عالماً في السياسة والفكر السياسي، والعقائدي، وفي التراث والتاريخ العربي والإسلامي. ولم يُوصِ أي مواطن عربي آخر بأن يدفن في المكان الذي أوصى أن يُدفن فيه مع قادة وأبطال الفتح العربي الإسلامي.. في مقام أبي عبيدة عامر بن الجراح، مع الشهداء الأبرار.. رمزاً إلى أن الشقيري ليس آخر القافلة.. قافلة التحرير، وأن هذه الأرض الطاهرة سوف تسقى دائماً بدماء الشهداء، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد،

سلاماً عليك أبا مازن في الدارين.

طبت حياً وطبت ميتاً.

فسلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً.

والسلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

الشقيري: هوية للثورة لا مرحلة فيها

الدكتور إبراهيم مصطفى مكارم*

أيها الحفل الكريم،

واقع الأمر ما أن دعيت إلى إلقاء كلمتي بينكم حتى استشعرت حرجاً لأكثر من موطن وسبب، ذلك أن المرء في موقف التأبين يخشى أن يقصر عن الوفاء بحق من كان في الذرى بين قومه وأمته، واحتل في النفوس أعز مكانة، وارتفع في المنصب وعلا في المكان، وكان حافظاً للحق أميناً على الحقيقة شهيداً عليها، ولقد كان أستاذنا أحمد الشقيري جميع هذا الأمر. وإذا كان هذا هو بعض الحرج مما قد يشاركني فيه من يشاركني شرف هذا المقام، إلا أن هناك موطناً آخر للحرج انفردت به دونهم، فرأيت نفسي في موقفي هذا إذ أتقدم على ذوي الفضل من قومي ممن أنوب عنهم، وكأني ذلك الفتى العربي الذي وقف خطيباً بين يدي معاوية، متقدماً من هم أسن منه، فسأله معاوية: أليس هناك من هو أسن منك ليتحدث بديلاً عنك؟ ولكني لا أجيب إجابة ذلك الفتى إذ أجاب معاوية: أليس هناك من هو أسن منك ليجلس مجلسك هذا؟ بل أقول إن في قومي من هم أحق مني بهذا الشرف، ممن رافقوا المرحوم الأستاذ أحمد الشقيري في رحلته دبلوماسياً عربياً في أروقة جامعة الدول العربية ومجالسها، وخطيباً مفوهاً عن العرب أجمعين في محافل الأمم المتحدة وأجهزتها المختلفة، ولكن ما كان قد كان، وشرفت بهذا المقام تذرعا بصلة ومودة، ومن ثم مضيت أنظر في معنى التأبين كمدخل لهذا المقال الذي أشرُف بإلقائه بين أيديكم، فرفضت أن أحمله على معنى البكاء، وإن كنا جميعاً لأبي مازن بواكي، ولكن رأيت التأبين قراءة لتاريخ، واستخلاصاً لفكرة، وتأكيداً لرأي، وبناء لمعنى. ومن ثم مضيت أقلب صفحات تاريخ أستاذنا أحمد الشقيري منتخباً موضوعاً لتأبينه من بينها، فرأيته منذ مبدأ أمره سياسياً فذاً، وخطيباً مفوهاً، ودبلوماسياً بارعاً، ولكن وجدت هذا الموضوع أقرب إلى دوره في الأمم المتحدة مما اختص به غيري من خطباء هذا الحفل ممن هو أجدر به مني. وتابعت القراءة حتى وصلت إلى نهاية صفحات هذا التاريخ، فأبصرت بأبي مازن شهيداً، مثله في ذلك مثل ذلك الصحابي الذي شقت عليه الفتنة، فسأل ربه أن يقبضه إليه، فما أن غادر مكانه حتى توفاه الله. ولقد شقت على أبي مازن أمور وأمور، شق عليه فراق عاصمته العربية التي أخلد إليها، كما شقت عليه مظاهر الاستسلام وصور الهزيمة، ففر إلى قضاء ربه ورحابه فهو في هذا المعنى شهيد، ولكن رأيت هذا المعنى أقرب إلى نضاله، وهو الموضوع الذي اختص به رفيق جهاده وخليله الأستاذ خيري الدين أبو الجبين، ولقد أعفاني أولو الأمر في هذا الحفل من مشقة انتخاب موضوع للتأبين، فانتخبوا لي موضوعاً أقرب إلى طبعي المدرسي، وهو ما عنون في مكتبة الشقيري، وهم في حقيقة الأمر قد أرادوا بذلك الشقيري كاتباً، فمضيت أعالجه بأسلوب الباحث الدارس وقد أخطئ وقد أصيب.

---

* مستشار قانوني – نائب رئيس محكمة الاستئناف في مصر سابقاً.

ومن ثم مضيت إلى مؤلفاته فوجدتها أحد عشر مؤلفاً، هي: "أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية"، و"حوار مع الملوك والرؤساء"، "من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، و"الهزيمة الكبرى"، و"على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، و"ما أشبه الليلة بالبارحة"، و"دفاعاً عن فلسطين والجزائر"، و"الجامعة العربية، كيف تكون جامعة؟ وكيف تصبح عربية؟"، و"إني أتهم"، و"الطريق إلى جنيف"، و"علم واحد وعشرون نجمة".

وتبلغ جملة صفحات هذه المؤلفات ما ينوف على أربعة آلاف صفحة، ولكن سرعان ما رددت نفسي عن هذا الأسلوب الإحصائي؛ الذي يقف عند حد الكم ولا يقدم رؤية ولا رأياً، ذلك أن كل دراسة يجب أن تتناول جدلية يتم إثباتها أو نفيها من خلال رؤية تنتهي إلى رأي، وبإعمال هذه الفكرة وجدت في الأستاذ أحمد الشقيري – في مبدأ الأمر – أديباً، يكتب فما تخذله العبارة، ويطنب فلا يعجز عن الإيجاز، ويسرد فما تغيب عنه الصورة، وهو رأي خلصت إليه منذ أن قرأت مذكراته في مؤلفه "أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية"، والذي قدم فيه أدباً رفيعاً من أدب الاعتراف، وكتاباً نادراً من كتب السيرة الذاتية تفتقر إليه المكتبة العربية.

فالقارئ لهذا الكتاب، لا يستطيع إلا أن يتابع بشغف ما امتلأت به صفحاته من صور وصفية، فهو عندما يقرأ رحلته طفلاً يتيماً من طولكرم إلى عكا، لا يستطيع إلا أن يشاركه مشاعره وخلجات نفسه إذا ركب واكبه، وإذا سرّ بعطاء سرّ بسروره.

وهو يلقي كل هذا وذاك دون تكلف ولا ادعاء، فهو من هذه الرؤية وتلك الزاوية أديب، ولكن ما كان الأستاذ أحمد الشقيري أديباً نستروح عباراته من بعض يومنا، فإن استغرقتنا ضروب الحياة نسينا ما قرأنا، لذلك سرعان ما عدت لأقدم رؤية أخرى، فوجدت فيه الكاتب السياسي الذي يكتب ما صادف من حوادث سياسية في روائية أخّاذة، وقدرة على التحليل بارعة وصادقة في آنٍ واحد، وهي رؤية تبدو لمن يقرأ "أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية"، و"حوار مع الملوك والرؤساء"، و"من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، و"الهزيمة الكبرى"، و"ما أشبه الليلة بالبارحة"، و"الطريق إلى جنيف".

ولكن الباحث المدقق في كتابات الأستاذ أحمد الشقيري ومؤلفاته سرعان ما يجد معنى آخر يتجاوز ما تقدم من معانٍ، إذ يرى الأستاذ أحمد الشقيري كما هو في حقيقته منظّراً ومفكراً وعقائدياً (أو عقيدياً على صحيح قوله)، يلتزم الأصالة ويرفض الضحالة، فهو يجمع بين القومية العربية والأممية الإسلامية في إطار واحد، ملتقياً مع فطرة الجماهير وعقيدتها (وهي فكرة أرجو ألا أصدم بها بعض الحضور)، فهي تُقرأ دون صعوبة في سطور كتابته الأولى التي قرأتها حينما تكلم عن اتجاهات والده الشيخ أسعد الشقيري، عضو مجلس المبعوثان في دولة الخلافة، فهو لم يستطع الانحياز إلى أي من الاتجاهين المتنازعين وقتذاك: الاتجاه العربي أو العروبي، والاتجاه الإسلامي، لكنه أوجد أرضاً مشتركة بينهما، كأنه يقول: فلتكن قوميتنا عربية، ولنقل بلغة أهل القانون جنسيتنا عربية، ولكن فليكن تراثنا وثقافتنا وعقيدتنا وحضارتنا إسلامية، أو وفقاً للمصطلح فلتكن أيديولوجيتنا إسلامية. حقاً قد نتخوّف على قوميتنا

العربية من التتريك ، ولكن هل نستطيع أن نقول إن قوميتنا الآن بمنجاة من التغريب؟، لا أستطرد فأحمّل هذه الكلمة فوق ما خصصت له، ولكن أعود فأقول: إن العروبة عند الأستاذ أحمد الشقيري كانت الإطار السياسي لتحركه في كل ميدان شارك فيه، وهو معنى التزم به في كتاباته، ولا أبالغ إذا قلت في جميع كتاباته. قرأته في أول كتبه "أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية"، كما قرأته في ثانيهما "حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء" كما يقرأ في كتابه "من القمة إلى الهزيمة" ويبدو هذا الاتجاه واضحاً في كتابيه:" على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء" و"الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء"، حتى حينما كتب "إني أتهم" لم يفقد إيمانه بعروبته، بل يهتف فيه: تحيا فلسطين عربية مستقلة، فهو يجعل من استقلال فلسطين وعروبتها أمرين مرتبطين ارتباطاً لا يقبل التجزئة بلغة أهل القانون، ونجد هذا المعنى واضحاً حينما كتب " ما أشبه الليلة بالبارحة"، و"في الطريق إلى جنيف"، ولكن سرعان ما يأخذ صورته الأكثر وضوحاً في مؤلفه "علم واحد وعشرون نجمة" الذي يقول مقدماً له، مبيناً أنه ينقسم إلى مجموعة من الفصول، يتناول كل فصل فيها جانباً مستقلاً من جوانب الوحدة العربية، رافضاً حجج الانفصاليين، رادّا عليها، منتهياً إلى دعوته التي أنفق حياته من أجلها، وهي الدعوة إلى وحدة عربية شاملة.

لهذا سوف تشاركونني الرأي في العنوان الذي جعلته لهذه الكلمة: "الشقيري هوية للثورة لا مرحلة فيها" في رفض لمن أراد أن يحجم دوره، وتأكيداً لحقيقة هذا الدور.

وفي النهاية –ولكل أمر نهاية– أختم متجرداً من محاولتي ارتداء ثوب الباحث الرصين فأقول: "أبا مازن" أنا لا أملك القصيد من الشعر الذي أوفيك به حقك، ولا البليغ من النثر الذي يرتفع إلى قدرك، ولكني أعلم كم تهنأ إذ أرفع شعار: علم واحد وعشرون نجمة، وكم تهنأ إذ أهتف هتافك الذي هتفت به دائماً: "تحيا فلسطين عربية مستقلة".

كلمة الأستاذ جاسم القطامي*

أيها الحفل الكريم ،

من عادة الشعوب والأمم الحية أن تكرم أبناءها البررة، ورواد نضالها بإحياء ذكراهم بعد مماتهم، ففي الذكرى شحذ للهمم، وشحن لما اختزن من طاقات، وتجديد للآمال والطموحات. وما تلك المناسبات الجليلة إلا محطات تقف الأمم عندها ، تستعرض مراحل نضالها وما تحقق من أهدافها، ومن ثم تحاسب نفسها، وتستشرف المستقبل، فتتزود بوقود يحفظ للمسيرة النضالية زخمها، ويحث الخطى نحو تجسيد آمال المستقبل وطموحاته وتطلعاته.

وما أجدرنا –نحن أبناء الأمة العربية، والوفاء من شيمنا الأصيلة– أن نكرم اليوم رائداً أميناً من رواد أمتنا، إننا نحتفل اليوم بذكرى الأربعين لوفاة فقيد العروبة وفلسطين الأستاذ المناضل أحمد الشقيري. والشقيري ليس مجرد اسم مقترن بمرحلة، بل هو رمز من رموز الأمة العربية الأساسية في مرحلة اتسمت بالنهوض الجماهيري والمد الثوري. لقد كان –رحمه الله وطيب ثراه– عروبي الانتماء، وقومي الجذور بقدر ما كان فلسطيني الهوية إنساني النزعة. ولا يمكن لنا أن ننسى مواقفه العربية المخلصة، وصوته العروبي المدوي في أروقة المنظمة الدولية، وقاعات الجامعة العربية، فمواقفه أكثر من أن تعد أو تحصى، وهو يدفع الحجة بالحجة، ويقارع الخصوم، متنقلاً من حلبة نضال إلى أخرى دونما كلل أو وهن، فاستحق بذلك لقب خطيب الأمم. كيف لا والفقيد سيد البيان، وربيب الفصحى، فكانت العربية طوع لسانه، وهو الأديب المتبحر، والقانوني الضليع، والخطيب الذي لا يشق له غبار، ولا يجاريه في هذا المضمار أحد. كما لا ينبغي لنا أن ننسى أن الفقيد قد وضع النضال الفلسطيني في مساره الصحيح، وبدأ رحلة التثوير والاستنهاض للإنسان الفلسطيني، وإثراء هويته بالمضمون النضالي والقومي، وربط القضية الفلسطينية بالقضية العربية ربطاً عضوياً ومصيرياً.

أيها الحفل الكريم،

كان فقيدنا أبو مازن زميل نضال وصديق فكر ورفيق درب، جمعتنا معًا مبادئ الانتماء العربي والفكر القومي، فشدت أواصرنا، وقرّبت أرواحنا، وأتاحت لنا أن نلتقي في أكثر من منتدى وتجمع بهدف تجذير الفكر العروبي، وطرح آفاق جديدة للنضال القومي. والحقيقة أن القومية في فكر الشقيري لم تكن مجرد شعارات تطرح، وجملاً جوفاء مفرغة المضامين تلقى في المناسبات، بل كانت رسالة وإيماناً وممارسةً وإلهاماً، وكان يردد دوماً أن "إسرائيل" هي قضية قومية في المحل الأول والأخير، وإذا كان الخندق الفلسطيني قد سقط فإن الخنادق العربية ينبغي لها أن تظل صامدة، يقاتل خلالها العرب كل العرب وفي طليعتهم الفلسطينيون. وكانت قناعته التي يروج لها دائماً أن "إسرائيل" بكل المقاييس والمعايير والتقويمات ليست إلا مرحلة عابرة، لأنها قبض الريح وباطل الأباطيل، وأنها تستمد قوتها

* عضو مجلس الأمة الكويتي.

وعدوانيتها من واقع الضعف العربي، ولابد لهذا الكيان العدواني الاستعماري العنصري أن يزول عند يقظة قومية توحد فيها الجهود، وتحشد الطاقات، وتعبأ الإمكانات في معركة مصيرية مع الكيان الصهيوني الآثم، ومن هنا كان قربه من عبد الناصر وثقته بقيادته. وأذكر أن الشقيري كان يردد دائماً بعد نكسة 1967 أن عبد الناصر قد ازداد تجربة، وأصبح أكثر إيماناً بطاقات جماهير الأمة العربية وقدرتها على العطاء، وأكثر إصراراً على أن يجمع الطاقات العربية والعالمية حول النضال الفلسطيني برؤيا ثورية مستنيرة.

أيها الإخوة ،

لقد كان فقيدنا أبو مازن يعيش لفلسطين وبفلسطين، يراها نبض العالم العربي وضميره، ومن خلال الولاء لفلسطين ومبلغ الإخلاص تتحدد هويات الأنظمة ومواقف الحكومات .ولم يكن الفقيد العزيز يعرف معنى لليأس، أو يترك للحقد الشخصي أو السياسي مكاناً في قلبه حتى تجاه أشد معارضيه فكراً ورأياً، وكان يؤمن بأن فلسطين للعرب ولكل أبنائها، وأن حتميات التاريخ وقدرات الأمة العربية سوف تحقق الانتصار طال الزمن أم قصر. وهناك حلم ملأ عليه حياته: فكانت الوحدة العربية بالنسبة لمناضلنا هاجسه اليومي وشغله الشاغل، يرى فيها البداية والنهاية، والمنطلق والملجأ، والهدف والقدر،وانعكس ذلك في أدبياته المتناثرة وتصريحاته وخطبه ومؤلفاته العديدة وآخرها:" علم واحد وعشرون نجمة"، استعرض بين جنبات كتابه هذا مختلف مراحل تطور الوحدة العربية، وأسباب انتكاساتها ومعوقاتها، مع طرح آفاق وتوجيهات جديدة لتحقيقها. لم يضعف إيمانه بقدرات هذه الأمة العظيمة رغم النكسات والتراجعات، وكان ينظر إلى الواقع الحالي على أنه سحابة صيف مظلمة سرعان ما تزول، لأن عظمة الأمة العربية وطاقاتها المخزونة، وإرادتها الجبارة تكمن في توجهاتها الوحدوية وطموحاتها القومية، وبقدر ما تتوحد إرادة الأمة بقدر ما تزول ملامح الضعف الحضاري وعلائم التخاذل السياسي، فتتهيأ لها فرص النهوض والانتفاض على الواقع المرير، والتصدي لكافة الحلول الاستسلامية المطروحة، والهجمات الإمبريالية الصهيونية الشرسة.

وربما كان وداع الشقيري للعالم في يوم فتحت فيه قاهرة المعزّ وعبد الناصر ذراعيها لتستقبل أول سفير صهيوني أمراً له دلالته، فهو صيحة احتجاج، ومظاهر رفض، وموقف اختبار من قبل مناضل تعود أن يجهر بالحقائق، ويتخذ المواقف حتى في لحظة وداعه للدنيا.

فيا أخي أبا مازن نم قرير العين، مستريح الضمير، واثق الوجدان بقدرات أمتك العربية وشعبك الفلسطيني الجريح، وعهداً أن نحمل الراية ونسير على درب الرواد من أمثالك، فالرائد لا يكذب أهله.

كلمة الأستاذ خيري الدين أبو الجبين

أيها السادة ، إخواني وأخواتي:

نلتقي اليوم في بيت فلسطين، في مقر منظمة التحرير في الكويت لتأبين أول رئيس لها، ابن فلسطين البار،المجاهد الكبير المرحوم أحمد الشقيري.

وإننا إذ نؤبن الشقيري اليوم، فإننا نكرّم نضاله الطويل، ذلك النضال الذي لم ينقطع إلا عند وفاته في الأردن في شباط الماضي، حيث نعاه قائدنا الأخ أبو عمار، وبكاه شعبنا كما يبكي أكرم الرجال.

ويحلو لنا الآن، وفي هذا الحفل الكريم، أن نتذكر أستاذنا الكبير أبا مازن، ونذكر شمائله الحلوة، ونستذكر مراحل جهاده الطويل من أجل أمته العربية وفلسطين التي أحبها كل الحب ، ووهبها كل حياته، فظل يعمل ويكتب ويخطب من أجلها ... ما نسيها لحظة من لحظات عمره.

وكلماتي هذه ليست إلا دمعة تقدير، وانحناءة إجلال وإكبار لذكرى هذا الصديق والقائد الكبير.

عرفت الشقيري رحمه الله أول ما عرفت خطيبًا مملوءًا بالحماسة والوطنية، يأخذ بألباب مستمعيه، يدعو الشعب إلى النضال، ومقاومة الانتداب والصهيونية، وكان ذلك في فجر شبابي عندما قدمته إلى جماهير شعبنا في المهرجان الوطني الكبير الذي أقامته منظمة النجادة الفلسطينية، في ربيع عام 1945 في مدينة يافا عروس فلسطين. وكان الشقيري في ذلك الاحتفال الفارس المجلّي، وقد ترك خطابه وأسلوبه الأخاذ أثراً كبيراً في نفسي، وبعد ذلك أصبحت من المعجبين بشخصيته ووطنيته ومقدرته الخطابية. وازددت إعجاباً به عندما تابعت نشاطاته في الأمم المتحدة، وهو يدافع عن قضية فلسطين وقضايا استقلال المغرب وتونس والجزائر وليبيا.

بدأت أعرف الشقيري عن كثب منذ آذار عام 1964، عندما حضر إلى الكويت في إحدى جولاته لإبراز الكيان الفلسطيني، إذ قدمته إلى الجمهور الكبير في ملعب ثانوية الشويخ، فخطب وأبدع وتحدث عن الكيان الفلسطيني، وذكّر الشعب بأيامنا الزاهرة واحتفالاتنا الوطنية في فلسطين، وفي ذلك الحفل وصف أهل الكويت بأنهم الأنصار والفلسطينيين بالمهاجرين ، ووصف سمو أمير الكويت الراحل المغفور له الشيخ عبد الله السالم بأمير المهاجرين والأنصار؛ فكان موضع إعجاب وتقدير كل من سمعه.

وكانت زيارته هذه إلى الكويت، وزيارته إلى مختلف الأقطار العربية آنذاك، من أجل إبراز الكيان الفلسطيني، الذي بذل الشقيري في سبيل إبرازه جهودًا مضنية يحتاج الحديث عنها إلى صفحات وصفحات. وقد وصف الشقيري المرحلة التي سبقت إبراز الكيان الفلسطيني بقوله: "كان الهدف واضحًا ومعروفًا، ولكن أسلوب العمل كان تائهًا وسط بحور الكلمات الرنانة والألفاظ الحماسية، وكانت قضية فلسطين تعلو في كل الأوقات فوق أي اعتبارات أخرى. ولكن طريق العودة لشعبها لم يكن مرسومًا ولا مخططا".

استطاع الشقيري أن يحوّل قرار مؤتمر القمة الأول في كانون الثاني 1964 "بتكليفه بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية بغية وضع القواعد السليمة لإنشاء كيان فلسطيني"، من قرار مكتوب إلى واقع ملموس، ولم ينتظر الموافقة، بل أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية باسم المؤتمر الفلسطيني الأول، الذي انعقد في القدس في 28 أيار 1964، وأبلغ ذلك إلى مؤتمر القمة الثاني الذي عقد في الإسكندرية في أيلول من ذلك العام.

بعد قيام المنظمة بدأ الشقيري بإنشاء أركانها الأربعة ثم تدعيمها، وهي: جيش التحرير، والمكاتب السياسية، والصندوق القومي، والتنظيم الشعبي.

وقد رافقتُ الشقيري في هذه المرحلة في جلسات المؤتمر الوطني الأول والمجلسين المتعاقبين، وكذلك أثناء عملي في مكتب المنظمة في الكويت، وخلال هذه السنوات وما تلاها منذ استقالته حتى وفاته لازمت أبا مازن، فعرفت فيه صدق العزيمة والإيمان المطلق بقدرات شعبنا وأمتنا العربية، مع دعوته لأن يكون لقضية فلسطين بُعدها الإسلامي إلى جانب بُعدها العربي. وعرفت في الشقيري مناضلاً شريفًا، حصيف الرأي، مبدعًا في الخطابة والكتابة والقانون والفقه والحديث والسياسة والدبلوماسية، ذا حافظة قوية وذهن متوقد.

وكان الشقيري وفياً للمجاهدين وذكراهم، يقدر لهم جهادهم حتى لو كانوا من خصومه السياسيين، وأذكر أنه عندما انتقل مفتي فلسطين وزعيمها المرحوم الحاج أمين الحسيني إلى الرفيق الأعلى، كان الشقيري في مقدمة المعزين فيه رغم ما كان بينهما من خصومة. وقال لي يومها في منزله في كيفون: "إنني أعزي في المفتي لأنه في جهاده الطويل لم يَلِن ولم يُهادن المستعمر، بل كان يرفض الانتداب والصهيونية على الدوام ".

كان الشقيري معلمًا لنا ولرفاقنا، علمنا كثيراً من دروس الوطنية الصادقة. علمنا أن لا نهادن العدو أبدًا مهما بدا أنه أقوى. علمنا لاءات الخرطوم الثلاث، وكان يقول لنا: "إن الوطن يحتاج إلى عمل مخلص مستمر شريف، وإن يد الله دائمًا مع الجماعة.

تعلمنا من الشقيري الإيمان بحتمية الوحدة العربية، وأن الوحدة هي العلاج الناجع والوحيد لكافة مصائبنا وآلامنا، وكان رحمه الله يقول: إن الصهيونية العالمية– وفي طليعتها "إسرائيل"– قوة ديناميكية هائلة؛ لا يمكن أن يقف أمامها إلا وحدة عربية لها جيش عربي واحد، على رأسه دولة اتحادية واحدة، وبدلاً من أن نظل نردد أن شعار "إسرائيل" من النيل إلى الفرات، علينا أن نقيم دولة الوحدة من النيل إلى الفرات.

وكان الشقيري يؤمن بضرورة الاستعداد المبكر لمجابهة العدو قبل أن يقوى ويشتد، قال لنا في إحدى زياراته لمكتب المنظمة في الكويت عام 1965: إن ثمن التحرير يتضاعف سنة بعد سنة ، فإذا كان التحرير يكلف الآن بليونًا، فإنه سوف يكلف في السنة المقبلة عشرة، وفي السنة التي تليها مئة، فعلينا أن نسرع في تجميع قوانا وإعداد أنفسنا لخوض معركة التحرير.

كان رحمه الله يؤمن إيماناً راسخاً بأن طاقات الأمة العربية وإمكانياتها –لو تجمعت– كافية لقهر العدو والقوى التي تسانده.

وبعد أن ترك الشقيري رئاسة المنظمة عام 1968 لم يخلد إلى الراحة بل استمر في خدمة وطنه، وكان بيته في القاهرة وفي كيفون وتونس ملتقى لرجالات فلسطين والعروبة، يتدارسون فيه سبل التحرير وطريق الوحدة. وانصرف إلى الكتابة فأصدر نيّفًا وعشرة كتب ضمّنها مذكراته وتجاربه وآراءه في كل ما يتعلق بالوحدة العربية وتحرير فلسطين.

وعندما بدأ السادات مسيرته الخيانية، وجد الشقيري أنه لا يمكنه الاستمرار في العيش في القاهرة، قال لي في زيارته الأخيرة إلى الكويت في آذار من العام الماضي، وكان رحمه الله يحب كثيرًا القيام بهذه الزيارات للالتقاء بإخوته ومحبيه من أجل تبصيرهم وتوعيتهم: " لقد أصبحت حياتي في القاهرة لا تطاق، وأنا مراقب أينما ذهبت، حتى عندما أذهب في رياضتي اليومية، وتليفوني مراقب، ورسائلي مراقبة، وإنني أشعر وكأن مانشيتات الصحف اليومية القاهرية ومقالاتها المضللة لشعبنا العربي في مصر، رماح تغرز في صدري صبيحة كل يوم، لما تحتويه من أضاليل وأكاذيب، وما تدعيه من إخلاص السادات وسعيه لخير شعب فلسطين، لهذا فقد قررت مرغمًا أن أترك القاهرة التي أحببت ".

وفي أول رسالة بعث بها إليّ بعد ذلك، قال إنه اختار أن يقيم في تونس فشعبها طيب، وهي مقر الجامعة العربية، وبذلك يمكنه الالتقاء دومًا برجالات العرب الذين يفدون إلى الجامعة في شتى المناسبات، ليحدثهم عن القضية المقدسة، ويتدارس معهم سبل العمل.

لكن المرض لم يمهل الشقيري، ولم يسمح له بتحقيق أمنيته هذه، إذ أصبح من الصعب عليه – بسبب مرضه– أن يجتمع بزائريه الكثر، لكنه – مع ذلك– لم ينقطع عن الكتابة.

وفي آخر رسالة كتبها إليّ من تونس يصف حالته المرضية ، أورد فقرات ضمّنها رأيه وتجربته فيما يمكن أن يسمى وصيته فقال: " ... بقي أن أرجوك أنت وإخواننا في النضال أن تُنصّبوا أنفسكم حرّاسًا على القضية الفلسطينية، وأن تداوموا على نصح إخواننا بألا يفرطوا بأي شبر من وطننا المقدّس، ولا بذرة من تراب وطننا الغالي، فإن تجربة السادات الخائن قد أثبتت أن كل تفريط واستسلام يقابله العدو بالمزيد من الأطماع والتوسع والعدوان. وهذه هي وصيتي إلى شعبنا البطل، أرجو أن تحفظها وتدوّنها بين أوراقك، وأسأل الله لقادتنا الهدى ولشعبنا النصر المبين، ولا بأس أن تنشر هذه المعاني في صحفنا الوطنية في الكويت، إعزازًا لقضيتنا المقدسة واستمساكًا بوطننا الغالي".

وبعد... فيا حبيب فلسطين، يا فارسها، يا ابنها البار، يا صوتها الراعد الجبار، نم قرير العين فإن شعلة النضال باقية، إن راية الثورة– راية منظمة التحرير الفلسطينية– سوف تظل تواصل مسيرتها النضالية، مستلهمة روحك الغالية

وروح أمثالك من المناضلين الكبار من أبناء شعبنا وأمتنا العربية. عهدًا أبا مازن أننا سوف نحمل الراية إلى فلسطين، ولن نتراجع مهما كانت التضحية.

كلمة أكرم الشقيري

أخواتي، إخوتي الأعزاء،

تحية طيبة وبعد،

لست أدري كيف أبدأ قولي؟ هل أعزيكم بفقيدنا الغالي المناضل الكبير الأستاذ أحمد الشقيري رحمه الله وطيب ثراه، أم أعزي بكم نفسي؟

فإذا كنت قد اخترت ممثلاً لآل الفقيد في هذا المهرجان الكريم في هذا البلد الكريم، فإنني أقول بكل صدق وأمانة وإخلاص: إن الفقيد الغالي ليس فقيدنا نحن آل الشقيري فحسب، بل هو فقيدكم جميعاً، فقيد العروبة والإسلام، فقيد الوطن والثورة، وفقيد كل حرّ مناضل.

وشكراً لرفيق شيخوخته وصباه في درب كفاحه الطويل الأستاذ خيري أبو الجبين، لما بذل من جهود مشكورة لإقامة هذا المهرجان، وشكراً لكم أيها الأوفياء لتفضلكم بالحضور، وشكراً لكل من أسهم في دعم هذا المهرجان مادياً ومعنوياً وأدبياً، وفقنا الله وسدد خطانا على درب الكفاح والعزة والتحرير، وإنها لثورة حتى النصر.

واسمحوا لي أن ألقي على مسامعكم قصيدتي التالية، والتي رثيت بها المناضل الكبير لا لقرابة تجمعني به، وإنما رثيت بها زعيماً فلسطينياً ومناضلاً عربياً كبيراً:

مـــات الشـــقيريُّ يـــا بـــلادي ... هـــل أمـــة العُـــرب فـــي حـــدادِ؟

وهـــل لبســـتِ الســـواد حزنـــاً ... أم أنـــتِ مـــن قبـــل فـــي ســـوادِ؟

هـــو ابنـــكِ المخلـــص المفـــدى ... بالـــــدمِّ والـــــروح والفـــــؤادِ

هـــو المُنـــادي بكـــلّ نـــادٍ ... إلامَ نبقـــى بـــلا معـــادِ؟!

أمـــا قضـــى عمـــره رســـولاً ... إلـــى المعـــالي وخيـــر هـــادِ؟

وكـــان مثـــل الريـــاض يهـــدي ... مواطنيـــه شـــذى الـــودادِ

وكـــان فينـــا أبـــاً عطوفـــاً ... وفـــي الملمـــاتِ ذا اســـتنادِ

وظـــل فـــي الخـــافقين يســـعى ... إلـــى هُـــدى العُـــرب والرشـــادِ

ومـــا اعتـــراهُ القنـــوطُ يومـــاً ... ومـــا تخلّـــى عـــن الجهـــادِ

حتـــى قضـــى نحبـــه شـــهيداً ... ولـــم يصـــل شـــاطئ المـــرادِ

إن كنـــتِ تبكينـــهُ افتقـــادا ... فـــنحنُ نبكيـــه لافتقـــادِ

تبكـــي الملايـــين عبقريـــاً ... حديثـــه الســـحر فـــي العبـــادِ

تبكـــي أبـــيّ الفـــؤاد شـــهماً ... ومـــن أبـــى الـــذل فـــي عنـــادِ
تبكـــي خطيبـــاً إذا تجلّـــى ... بـــثّ الأحاســـيس فـــي الجمـــادِ
والمنبـــر الحـــرّ ودّعتـــه ... بلاغـــة القـــول والســـدادِ
هـــوى فلســـطين وهـــو طفـــل ... ولـــم يخُنهـــا علـــى البعـــادِ
أحـــب فيهـــا شـــذى رباهـــا ... وكـــل ســـهل وكـــل وادِ
والقـــدس والمســـجد المعـــاني ... مـــن دنـــسِ الغاصـــب المعـــادي
وكـــان قيســـاً بحـــب ليلـــى ... ومـــن تلظّـــى هـــوى ســـعاد
وشـــهريار الغـــرام لمّـــا ... غـــدا وفيّـــا لشـــهرزادِ
أحـــب فيهـــا العُـــلا فغنـــى ... كبلبـــلٍ بـــالرجوع شـــادِ
رأى بـــأن الجهـــاد جســـرٌ ... إلـــى فلســـطين والمـــرادِ
ومـــا بقـــاء اليهـــود فيهـــا ... إلا لأنّـــا بـــلا اتحـــادِ
وأمـــة العـــرب فـــي شـــقاق ... وغيـــر مشـــبوكة الأيـــادي
وكـــان فـــي رأيـــه جريئـــاً ... يـــدعو إليـــه بكـــل نـــادِ
وكانـــت النـــاس كـــالروابي ... وفكـــرهُ الحُـــرّ كالســـمادِ
حـــاز المعـــالي فمـــا تبـــاهى ... ومـــا تـــراءى بـــذي اعتـــدادِ
وطـــاول الشـــمس فـــي علاهـــا ... ونـــال مـــا نـــال باجتهـــادِ
وعـــاش حـــراً ومـــات حـــراً ... ولـــم يعـــرّج علـــى الفســـادِ
مـــآثر مـــا لهـــنّ حصـــر ... علـــى بنـــي العـــرب والـــبلادِ
رَنَـــتْ وقالـــت عـــلام تبكـــي؟ ... فـــالموت حـــقّ علـــى العبـــادِ؟!
وهـــل قضـــى مـــن قضـــى شـــهيداً؟ ... هـــل مـــات فـــي النـــاس ذو الأيـــادي؟
قـــد مـــات لكنـــه مقـــيمٌ ... فينـــا بأعمالـــه الجيـــادِ
وأنـــتم اليـــوم لـــي عـــزاء ... وأنـــتُمُ فـــي الـــوغى عمـــادي
فـــي ذمـــة الله يـــا زعيمـــاً ... ويـــا شـــبيهاً بســـندبادِ
فـــي جنـــة الخلـــد يـــا شـــهيداً ... أليســـت الخلـــد بالجهـــادِ؟
رحلـــت عنـــا وأنـــت بـــاقٍ ... وكـــلّ حـــيّ إلـــى نفـــادِ
أبكيـــكَ يـــا عـــمُّ دمـــع جمـــر ... أحـــال قلبـــي إلـــى رمـــادِ

فإن تمالكتُ فيك نفسي   فلوعة الحزن في فؤادي
فَنَمْ أبا مازنٍ قريراً   واعلم بأنّا ذوو جلادِ
زرعت فينا الوفاء فاقطف   فقد دنا موسم الحصادِ
عزاؤنا فيك كل حُرّ   يمشي على دربك المُشادِ
عهد علينا الصمود حتى   نقضي على زُمرة الوغادِ
عهد علينا الجهاد حتى   نحرر الأرض من صفادِ
فأكثر الناس بؤس عيش   شعب يعاني من اضطهادِ
وما فلسطين غير جرحٍ   على جبين الزمان بادِ
دامٍ ولكنه سيشفى   سنوقف النزف بالضمادِ
أكفنا والسلاح فيها   هيهات تُثنى عن الزنادِ
نصر من الله يا بلادي   عما قريبٍ على الأعادي
عزاءُ آل الفقيد أنتُمْ   يا من تعانون من سهادِ
فيكم أُحيي الصمودَ دأبا   وموقف الباذل الجوادِ
فأنتم الدرع يوم زحفٍ   وأنتم الذخر للبلادِ